- **تنزلات القرآن الكريم:**

للقرآن الكريم تنزلات ثلاثة[1]:

❖ **الأول:** تنزله إلى اللوح المحفوظ، ودليل ذلك قول الله تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (21) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ [البروج: 21 - 22].

❖ **الثاني:** تنزله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ودليله قول الله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ [الدخان: 3]. وقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [القدر: 1] وقوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [البقرة:185].

وأخرج النسائي والحاكم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم"[2].

وأخرج النسائي والحاكم من طريق داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة. ثم قرأ: وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً (105) وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا[3] [الإسراء: 105 - 106].

❖ **الثالث:** تنزل القرآن من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بواسطة جبريل عليه السلام منجما، قال الله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194) بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ [الشعراء: 193 - 195].

- **نزول القرآن منجما**

تتابع نزول القرآن منجما، فكانت تنزل الآية أو الآيتان أو الآيات في أوقات مختلفة، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى: وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا

---

[1] الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، دار العلوم الانسانية – دمشق الطبعة: الثانية، 1998 م، ص 46 – 47.
[2] رواه النسائي في الكبرى (7991) والحاكم في المستدرك (2/ 223) وصححه، ووافقه الذهبي.
[3] رواه النسائي في الكبرى (7990) والحاكم في المستدرك (2/ 222) وصححه، ووافقه الذهبي.

[الإسراء:106]. ويضاف إلى هذا الدليل القرآني الصريح، أنه قد ثبت ثبوتا قاطعا في السنة والسيرة النبوية أن القرآن لم ينزل على رسول الله جملة واحدة، وإنما نزل مفرّقا خلال مدة بعثته المباركة والتي قدرت بثلاثة وعشرين عاما تقريبا، قال السيوطي في «الإتقان»: الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها: أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشرا، وأكثر وأقلّ، وقد صح نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة[4]، وصحّ نزول عشر آيات من أول المؤمنون جملة[5]، وصحّ نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ [النساء: 95] وحدها[6]، وهي بعض آية[7]...كان هذا التنجيم في نزول القرآن سببا في اعتراض اليهود والمشركين وتساؤلهم: لماذا لم ينزل القرآن كما نزلت التوراة جملة واحدة؟ وقد أنزل الله عزّ وجلّ آية كريمة تسجّل هذا الاعتراض وتردّ عليه، وهي قوله تعالى: وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا [الفرقان:32][8].

- **حكم نزول القرآن منجما:**

نستطيع أن نتعرّف على حكم نزول القرآن منجّما من الآيتين الكريمتين:

وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ... [الإسراء: 106] وكَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا [الفرقان: 32] اللتين ورد فيهما الردّ على اعتراض المشركين واليهود بالحجة الدامغة، كما أن هناك أسرارا لهذا التنجيم تدرك بالعقل والاجتهاد، وهذه الحكم والأسرار هي[9]:

1. **تثبيت فؤاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم:** وهذا ما صرّحت به الآية كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وكان النبيّ عليه الصلاة والسلام بحاجة لهذا التثبيت وهو يواجه من الناس القسوة والنفور، ويجد من الكثيرين في مكة الغلظة والجفاء والإصرار على الكفر، مع رغبته الصادقة في هدايتهم إلى

[4] رواه البخاري في المغازي، باب: حديث الإفك (3910).
[5] رواه أحمد (1/ 34) والترمذي في التفسير (3172) والنسائي في الكبرى (1/ 450).
[6] رواه أحمد (1/ 34) والترمذي (4316).
[7] الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (137/1) تقديم وتعليق د. مصطفى ديب البغا، طبعة دار ابن كثير ودار العلوم الإنسانية 1414 هـ.
[8] الواضح في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 47 – 48.
[9] نفس المرجع، ص 48-52 باختصار.

الحق، فكان الوحي يتنزل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين وقت وآخر فيشحذ من همته ويزيد من صبره وتحمله.

2. **تيسير حفظ القرآن وتسهيل فهمه:** وذلك لأن القرآن نزل على أمة تغلب فيها الأمية، فلا تعرف القراءة والكتابة، وإنما سجلها ذاكرتها؛ قال تعالى في إثبات ذلك: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الجمعة: 2].

3. **التدرج في التشريع:** أراد الله تعالى أن يتم الإصلاح الاجتماعي بصورة تدريجية، حيث لا يمكن أن ينقلب المجتمع الجاهلي الفاسد بين عشية وضحاها إلى مجتمع صالح، فكانت آيات القرآن تراعي هذا الإنقلاب التدريجي وبناء أسسه، فنزلت أولا الآيات المتعلقة بالعقيدة ودلائلها، والآيات الداعية إلى محاسن الأخلاق، حتى إذا آمن الناس وزكت نفوسهم نزلت آيات الحلال والحرام في تدرج حكيم. ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر. لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنى[10].

4. **مسايرة الحوادث:** وإيجاد الحلول المناسبة للحوادث الطارئة، لتكون آيات القرآن أوقع في النفس وألصق بالحياة.

5. **الدلالة القاطعة على أن القرآن كلام الله وحده:** قال تعالى: الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ [هود: 1]. وهذا التناسق وعدم الاختلاف في أسلوب القرآن أكبر دليل على أنه كلام الله العليم الحكيم؛ إذ لو كان من كلام المخلوقين لظهر فيه الاختلاف من سنة إلى أخرى؛ قال تعالى: وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً [النساء: 82].

[10] رواه البخاري في فضائل القرآن (4707) والمفصل: من أول سورة (ق) إلى آخر القرآن. وانظر فتح الباري (9/ 43).

وحتى أحاديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رغم أنها في ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن، فإنها لا تنتظم حباتها في كتاب واحد سلس العبارة فيه وحدة وترابط كالقرآن.

6.**توثيق وقائع السيرة النبوية:** والدلالة من خلال الآيات القرآنية المنجمة على أن محمدا صلّى الله عليه وسلّم خاتم النّبيّين، وتشكّل السيرة النبوية من خلال الحوادث، وضمّها إلى قصص الأنبياء، وسير المرسلين، وحياة الأمم السابقين[11]، وتوثيق ذلك إلى درجة التواتر، ورسم القواعد التي تبنى وفقها السيرة النبوية بوصفها المقدمة للتاريخ الإسلامي منذ جيل الصحابة وحتى عصرنا الحاضر[12].

[11] للتوسع في توضيح هذه الحكمة انظر كتاب «مدخل إلى تفسير القرآن» للدكتور عدنان زرزور ص 97.
[12] الواضح في علوم القرآن، مرجع سابق، ص 52.